JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ
العدد الأول
(٨١) -(٩٨)

الزينة عند العرب في العصرين الجاهلي والإسلامي
{زينة العطور إنموذجاً}

د.شروق عبد المجيد سلمان الخطيب
وزارة التربية/ ثانوية الامل للمتميزات
Shrooqalmosawi@gmail.com

الملخص:

للزينة أهمية بالغة في النفوس لِما تثيره من سرور فيها ، وتمثل زينة العطور الركن الأساس فيها.

وقد لمس العربي في الجاهلية تلك الأهمية بعد أن عرف أن بعضاً من النباتات والحيوانات تكون ذات عطورٍ زاكية ، فعمل على مزجها مع بعضها وأضاف لها شيئاً من تركيباته لتعطي عطوراً جديدة.

وقد تاجر ملوكهم وأشرافهم بها، وامتهن بعضهم بيعها من النساء والرجال فكان بعضهم مثالاً للشؤم وآخر للنصر في الحروب.

واولع العرب بالطيب أو العطور وبالغوا في استعمالهم لها فكانوا يضمخون أجسادهم وثيابهم بها في الأفراح.

وبلغ حبهم للطيب أن جعلوها موضع التقديس في أحلافهم .

أما أشهر عطورهم التي لاتزال معروفة ليومنا هذا فهي المسك والعنبر والعبير أو الخلوق لذلك سيتناولها البحث دون سِواها.

{The Adornment Of The Arabs In The Pre-Islamic And Islamic Eras
Perfume Decorations As A Model}

Dr. Shorouq Abdul Majeed Salman Al-Khatib

Abstract

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

The beauty of decorations is very important in the souls because of the pleasure it evokes in the souls, and one of its most important pillars is perfumes. Al-Arabi has touched on this importance after he knew that some of the plants and animals have zaky fragrances, so he worked to mix them with each other and added some of his compositions to give new perfumes .

The Arab in jahiliyah touched that importance after he knew that some of the plants and animals have zaky perfumes, so he worked to mix them with each other and added some of his compositions to give new perfumes. Their kings and their honors traded in them, some of whom were sold by women and men, some of whom were examples of evil and another for victory in wars .

The Arabs were fond of goodness or perfume and overused them for it, so they used their bodies and clothes in the joys of it , their love for the good is that they made it the subject of sanctification in their alliances , their most famous perfumes that are still today are musk, amber, aromas or creatures.

التمهيد

لطالما اهتم الإنسان بزينته ومنها زينة العطور فهي رمز للترف والغنى، لذلك عَمَدتُ الى الكتابة عنها فكان موضوع البحث: الزينة عند العرب في العصرين الجاهلي والإسلامي ، زينة العطور إنموذجاً.

قام البحث على مقدمة تناولت نبذة عن الزينة والتزين وبخاصة زينة العطور، وماتركته من أثر في حياة أشرافهم الذي انعكس على مُغالاتِهم في عطورهم وثيابهم وأسلحتهم .

وبالإضافة إلى المقدمة قام البحث على مبحثين لكل مبحث ثلاثة مطالب أما المبحث الأول في مطلبه الأول فقد بيّن المعنى اللغوي والإصطلاحي للزينة والعطور وعلاقتها ببعضها والتعرف على مهنة العطارة.

ويبحث المطلب الثاني في صناعة العطور وأمثالها ، أما المطلب الثالث فتناول صناعة أدوات حفظ الطيب

وجاء المبحث الثاني في مطلبه الأول ليبيّن تجارة العطور وأمثالها ، ويبحث المطلب الثاني في أصل العطور ومصادرها وخُصص المبحث الثالث لأنواع العطور وأبرزها استعمالاً .

ثم خاتمة تَناولتْ أهم النتائج التي توّصل إليها البحث وقائمة بالمصادر والمراجع .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م /١٤٤٢هـ

ولابد من الإشارة إلى أهم مصدر أفاد البحث منه ألا وهو (الزينة في الشعر الجاهلي ، للدكتور يحيى الجبوري) الذي كان مرجعاً مهماً للبحث.

المقدمة

من البدائع الربانية ،والفضائل الإلهية التي أنعم بها الخالق علينا أنْ وهبنا الزينة بأنواعها . ومنها موضوع البحث "زينة الطيب أو العطور".

تلك الزينة التي تبعث فينا شعوراً بالنشاط والسرور ما ينعكس أثره الإيجابي على ذواتنا ودواخلها متمثلة بالبهجة .

وقد وعى الإنسان العربي السّر وراء تلك البهجة، فإعتنى بها اعتناء بالغاً، فعرف التمييز بينها وأضاف عليها شيئاً من تركيباته، ومازج بين بعضها حتى غدت أنواعاً وألواناً خاصة منها للرجال وأخرى للنساء، كما أصبح لكل مناسبة عطرها الخاص، فمنها ماهو للفرح وآخر للحزن، وثالث للتجمل.

عُدّ الطيب عادة من عادات مُترَفي العرب وأشرافهم وملوكهم في الجاهلية، عكست غِناهم وترفهم، فقد كانوا يضمّخون بها أجسادهم، حتى بالغوا في استخدامهم للعطور بأن اغتسلوا بماء الورد فعطرّوا مجالسهم في أفراحهم و أعراسهم، إذ عُدَّ التضمخ بالعبير والتعطر بالطيب علامة للرضا والفرح والسرور.

(جواد علي ،١٩٩٣، ص ٤/٦٤٥).

ولم يكتفوا بذلك فعطروا ثيابهم حتى فاحَ المِسكُ منها، وفي ذلك جاء قول قيس بن الخطيم:

وعمرة من سروات النسا ء تنفح بالمسكِ أردانها

(الأسد ،١٩٦٧، ص ٦٩).

أما في الإسلام فقد أكد الخالق ضرورة استعمال الطيب والتزين به فجعله صفة من صفات المؤمنين الذين يرفلون برغد العيش في جنان الخلد، قال تعالى :

((فروحٌ وريحان وجنة نعيم)).

(القرآن الكريم،سورة الواقعة ، ص ٨٨).

كما كان رسولنا الكريم يوصي باستعمال الطيب فكان يتطيب في حلّه وإحرامه ، وكان يقبل الهدية إذا كانت طيباً.

(المباركفوري ،١٩٧٩، ص٤/٧٣).

وبلغت شدة تعلق العرب بالطيب أو العطور أن صار علامة من علامات المواثقة بالعهود، فكانوا في الجاهلية إذا تحالفوا غمسوا أيديهم في الدم إلى أن كان الحلف الذي شهده رسولنا الكريم (صلى الله

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م /١٤٤٢هـ

عليه وآلهِ وسلم) مع قومه من بني عبد مناف بن قصي مع بني عبد الدار بن قصي. فغمسوا أيديهم في جفنة مملوءة بالطيب ومسحوا بها الكعبة فسُموا بالأحلاف وسُميّ حلفهم بحلف المطيبين .

(ابن هشام،١٩٣٧، ص ١٤٢/١).

المبحث الأول

المطلب الأول **– المعنى اللغوي والإصطلاحي للعطور أو الطيب**

قبل الخوض في إيراد المعنى اللغوي والإصطلاحي للطيب، لابد من تبيان معنى الزينة بإعتبار الطيب جزءاً منها بل وأهمها.

عرّف ابن منظور الزينة في اللسان بأنها اسم جامع لكل شيء يُتزين به تقول العرب : زانه زينه وأزانه وأزينه ، والزين خلاف الشين، وجمعه أزيان .

(ابن منظور،١٩٥٩، زين).

وقد وصف حُميد بن ثور الهلالي إمرأة متزينة قال:

تَصِيدُ الجَلِيسَ بأَزْيَانِها ودَلٍّ أَجابتْ عليه الرُّقَى

(الميمني، ١٩٥١، ص ٤٨).

من هنا فالتزين بالطيب أو العطور هو باب من أبواب الزينة بل أهمها فقد عرّفت المعاجم العربية العطر بإنه : اسم جامع للطيب، والجمع عطور، والعِطر بالكسر: الطيب والعطّار: بائع العطور وحِرفتهُ العِطارة.

(ابن منظور،١٩٥٩،عطر).

قال ذو الرمة يصف أرطاةً تكنَّس فيها الثور الوحشي:

كَأَنَّهَا بَيْتُ عَطَّارٍ يُضَمِّنُهُ لَطَائِمَ الْمِسْكِ، يَحْوِيهَا وَتَنْتَهَبُ

(أبو صالح، ١٩٧٣ ، ص ٢٨).

وعَطرت المرأةُ: تطيبت فهي عطرة ومعطّرة ، أي تتعهد نفسها بالطيب وتكثر منه.

قال الشاعر:

عُلِّقَ خَوْداً طَفْلَةً مِعْطارَةْ إيَّاكِ أعْنِي فاسمَعي يا جارَةْ

(المادة والبيت ابن منظور، ١٩٥٩، عطر).

وترِد كلمة الطيب مع العِطر. والطيبُ مايُتَطيبُ به، وقد تطيب بالشيء، وطيّبَ ثوبه وطابه، وقد يستعمل مطيوب بمعنى طيب . قال إبن الأعرابي:

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م /١٤٤٢هـ

فكأنَّها تُفَّاحةٌ مَطْيُوبة

(ابن منظور ، ١٩٥٩ ، طيب).

أما المعنى الإصطلاحي للطيب أو العطر: فهو كل شذىً ينتج عن زيوت عطرية نباتية أو حيوانية. ومن المعنيين اللغوي والإصطلاحي نتعرف على الصلة بينهما وهي معرفة الإنسان العربي السَّر في عظيم مِنة الخالق له بشأن الزينة بعطورها وطيبها واستعماله لها في مناسباته كلها السعيدة والحزينة، في سلمه وحربه، إذ عُرِفَ أنه كان يُمازج بينها فينتج عنها أنواعاً مختلفة وبذلك عرف صناعتها.

المطلب الثاني – صناعة الطيب

عرف الإنسان العربي الذي عاش على أرض شبه الجزيرة العربية أنواعاً مختلفة من الأعشاب ذات الروائح الزكية، فعمد إلى أنْ استخرج منها أنواعاً جديدة حين مزجها.

وقد أشارت المصادر القديمة إلى أنَّ أكثر أماكن شبه الجزيرة العربية معرفة بصناعة الطيب هي اليمن، حيث وجود العنبر وعطر شجرة دم الأخوين اللذين عُدَّا أهم مصادر الثروة فيها في العصر الجاهلي، إذ يَكثُر وجودهما على سواحل عدن وما يليها.

(الهمداني، ١٩٨٦، ص ٥٢).

وكانت توكل مهمة صناعة العطور أو الطيب الى العِطّارين الذين يخلطون أنواعاً من الأعشاب سواء أكانت مع بعضها أو مع دماء بعض الحيوانات ، بعد أن يتم إجراء عدة عمليات تصنيعية عليها فيقومون بدقِها بحجر يُسمى المُداك تُدَق به الأعشاب حتى تخرج منها رائحة طيبة.

ولو تتبعنا لفظة المُداك في الشعر الجاهلي لوجدناها تبرز بوضوح مع الإشارات إلى صناعة العطور.

وفيه جاء قول عُبيد بن الأبرص :

وَإذا اِقتَنَصنا لا يَجِفُّ خِضابُها وَكَأَنَّ بِركَتَها مَداكُ عَروسِ

(حسين نصار ، ١٩٥٧ ، ص٧٠) .

اراد عبيد بن الابرص من بيتهِ هذا أن يقول : أن فرسه خضبت بدماء الأعداء، وشبهها بالمُداك الذي يسحق الطّيب، وكذلك فرسهُ سحقت الأعداء.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م /١٤٤٢هـ

وقال مثله عبد الله بن سلمة الغامدي في المُداك قال :

فنَزَعْتُهُ وكأَنَّ فَجَّ لَبَانِهِ وسَوَاءَ جبْهتِهِ مَدَاكُ عَرُوَسِ

(الضبّي، ١٩٤٢ ، ص ١٠٧).

كما أن هناك من الأعشاب ما يسحق فلا يكتفي بالدق، فيحتاج العطارون أداة أخرى لذلك، وتسمى الصلاية والتي وجدنا لها اشارات ايضاً في الشعر العربي الجاهلي والاسلامي. إذ اشار أمية بن ابي الصلت إليها بقوله :

سَراة صَلابةٍ خَلْقاء صِيغَتْ تُزِلُّ الشمسَ ليس لها رِئابُ

(الكاتب احمد ،(د.ت) ، ص١٦١).

كما وردت اللفظة في شعر لحُميد بن ثور الهلالي بقوله :

فَغادَرنَ مسوّد الرمادِ كأَنَّهُ حَصى إثْمَدٍ بَينَ الصَّلاءِ سَحيقُ

(الميمني ، عبد العزيز ١٩٥١، ص ٤٨).

وكانوا يحرصون على أن تكون عطورهم ذات رائحة قوية، وذلك بأن يضيفوا لبعضها دهن الزئبق، ويمزجوا الكافور بالمسك، فتفوح رائحته، ويسمى عند ئذٍ بالفتاق. وقالوا : فتقَ الطيب يفتقه فتقاً ، طيبه وخلطه بعود وبغيره.

وقيل : الفتاق: أخلاط من أدوية مدقوقة تخلط بدهن الزئبق ، وقيل أيضاً الفتاق :ضرب من الطيب.

(ابن منظور،٩٥٩، فتق).

وفي ذلك قال الراعي النميري :

لَهَا فَأْرَةٌ ذَفْرَاءُ كُلَّ عَشِيَّة كما فتقَ الكافورَ بالمسكِ فاتقهْ

(الصمد، ١٩٩٥ ، ص ٨٣).

هنا يصف الشاعر إبلاً رعت العشب وزهرته وكانت جلودها ندية ففاحت منها رائحة المسك.

المطلب الثالث – صناعة أدوات الطيب وحفظه

لم تكن مهنة العطارة وصناعة العطور حكراً على الرجال، بل كان للمرأة حضور في تلك الصناعة، فكانت منهن من تبتكر خلطات معينة تحرص أن تكون سراً من أسرار صَنعتِها، وقد ورد خبر عن هند بنت أسماء مع أخيها مالك بن سليمان بن خارجة حينما شمَّ ريح الغالية عندها، وهي أحد أنواع العطور التي شاعت صناعتها في العصر العباسي.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م /١٤٤٢هـ

فقال لها: علّميني كيف تصنعيها؟ قالت: لا أفعل كي لا تعلمها جواريك، وهو لك مني كلما أردته.

(الأبشيهي ، ١٩٥٢ ، ص٢/٣١).

وكانوا يصنعون أوعية حفظ الطيب فمنها ما كان خاصاً بطيب النساء، ومنها ماكان لحفظ الطيب عامة.

فأما ماكان لطيب النساء فمنها ما صنع من الخرز والأصداف واللؤلؤ تضع المرأة فيها عطورها لتحافظ عليها الى جانب حُليّها. ومن تلك الأدوات مايُسمى ب(البالة) :وهي عبارة عن وعاء ضخم تضع فيه المرأة نفائس حُليّها ومتاعها وبما في ذلك عطورها.

وقد ورد ذكرها في الشعر على ألسنة كثير من الشعراء ومنهم ابو ذؤيب الهذلي قال:

فقلتُ لقلبي يا لكَ الخيرُ إنما يُدَلّيكَ للموتِ الجديدِ حِبَابُها

فـأقسمُ ما إنْ بالَـةٌ لَطَيمَةٌ تفتح باب الفارسين بابـها

(الزين، وابو الوفا ، ١٩٦٥، ص ١/٧٢).

ومن الأوعية الأخرى المستخدمة لحفظ طيب النساء، الشريط والعتيدة. قال الأزهري: العتيدة: طبل العروس اعدت لما تحتاج إليه العروس من طيب وأداة وبخور ومشط وغيره.

(ابن منظور،١٩٥٩ ،عقد، شرط) .

وفيها جاء قول عمرو بن معديكرب الزبيدي في وصف امرأة قال:

فَزَينُكِ في شَريطِكِ أُمَّ عمروٍ وسابغةٌ وذو النُونَينِ زَيني

(الطرابيشي ، ١٩٧٥ ، ص ٨٠).

وأراد الشاعر أنها قد زينها الطيب الذي في العتيدة، بينما زينَتُهُ السلاح.

أما الأوعية التي حفظت العطور عامة منها القارورة وهي وعاء زجاجي،

(ابن منظور ،١٩٥٩ ، قرر).

ومنه قول عبيد بن الأبرص في وصفه فرسه، وشدة تنكيلها بالأعداء اذا ما اقبلت عليهم فكأنها قارورة صفراء إذ شبّه فرسه بالقارورة في إستدارتها وهي تكبس الأعداء كما يكبس الطيب قال:

أَمّا إذا ادبَرتْ فَكَأَنَّها قارورَةٌ صَفراءُ ذاتُ كَبيسِ

(حسين نصّار ،١٩٥٧، ص ٧٠).

وقد تصنع بعض الأوعية من الجلد ومنها الجؤنة يكون شكلها مستديراً لحفظ الطيب كما يمكن حفظ الملابس بها

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م /١٤٤٢هـ

(ابن منظور ،١٩٥٩ ، جأن).

وقد ذكرها الأعشى بقوله :

إذا هُنَّ نازَلنَ أَقرانَهُنَّ وَكانَ المِصاعُ بِما في الجُوَن

(محمد حسين، ١٩٨٦ ، ص ١٧).

وهناك أنواع من الأوعية تصنع من الخشب أو العاج وتسمى ب الحُقة، وهي أكثر ما تكون خاصة بملوك العرب من حمْيَر، وقد أشار إمرؤ القيس الى ذلك حينما وصف نسوة ضاعنات بقوله:

غَرائِرُ في كَنٍّ وَصَونٍ وَنِعمَةٌ يُحَلَّينَ ياقوتاً وَشَذراً مُفَقَّرا

وَريحَ سَنـاً في حُقَّةٍ حِميَرِيَّةٍ تُخَصُّ بِمَفروكٍ مِنَ المِسكِ أَذفَرا

(ابو الفضل محمد ،١٩٨٤ ، ص٥٩).

وقد وجدت فيه تفسيراً لمعنى الحُقة ولم أجده في اللسان وغيره.

وشبّه الاعشى وجه صاحبته بالحُقة، فبشرتها صفراء لكثرة تضمخها بالطيب فهي كتلك الحُقة قال:

كَالحُقَّةِ الصَفراءِ صا كَ عَبيرُها بِمَلابِها

(محمد حسين ،١٩٨٦، ص ٢٥٥).

تلك أهم الأدوات التي صُنِعت لحِفظ الطيب بأنواعه، وهي دليل على أن العربي استخرج العطور وصنعها ، ولم يكتفِ بذلك فصنع أدواةً لحفظ الطيب فأبدع بتنوع موادها وأنواعها وأشكالها فمنها المستدير والمربع ، وهو دليل ترف أشراف العرب وحبّهم للطيب.

المبحث الثاني

المطلب الأول – تجارة العطور وأمثالها

عاش العرب على أرض شبه الجزيرة العربية، وهي منطقة تتوسط طرق القوافل التجارية، لذلك كانت لهم صلات تجارية منها مع الروم عن طريق الغساسنة، ومنها مع الفرس عن طريق المناذرة، واخرى مع اليهود في يثرب واليمن، وكان لاولئك الأقوام أثر في تجارة العطور وإستعمالها فشاع ذلك إستعمالاً وتصنيعاً وتجارة لها، ونجد ذلك واضحاً في أبيات

الشعر العربي، إذ تغنّى الشعراء بالطيب أو العطور وتَزَيّن النساء بها.

وقد حملت تلك الحركة التجارية كثيراً من ألوان الترف إلى أشراف العرب وموسريهم .

(الأفغاني ، ١٩٧٤، ص ١٩٦).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

لذلك إقتصرت تجارة العطور على ملوك العرب وأشرافهم لأنها غالية الأثمان لايقدر الفقير على أن يتعطر بها ويشتريها فكيف بتجارتها.

ومن اولئك الملوك النعمان بن المنذر ملك الحيرة الذي كان يرسل كل عام لطيمة لسوق عكاظ يجيزها له سيد مضر وهو أحد سادات العرب فتبتاع ويشترى بثمنها الأدم والحرير والبرود.

(ابن الأثير،١٩٦٧ ، ص ٣٥٩/١).

وتعني اللطيمة : العِير التي تحمل الطيب.

(ابن منظور ،١٩٥٩، لطم).

أما من أشراف العرب الذين تاجروا بها، وامتهنوا بيعها فمنهم أبو طالب .

(المرزوقي ، ١٩٩٦ ، ص ١٦٥/٢).

ولم تقتصر تجارة العطور على الرجال ، بل كانت المرأة تتاجر بها أيضاً ومنهن امرأة خزاعية تدعى منشم ، ولم يمنع الإسلام ذلك فكانت أسماء بنت مخرمة ام أبي جهل تبيع الطيب في مكة ، وكانت النساء القرشيات يترددن عليها فيبتعن عطرها الذي كان يبعثه لها ابنها عبد الله من اليمن.

(الواقدي، ١٩٦٠، ص ٢٢٠/٨).

أما عن أمثال الطيب أو العطور فكثيراً ما ضُربت فكان لكل منها قصة أو حدث، كما إرتبطت بأشخاص سواء أكانوا ممن امتهنوا بيعها أم صنعها ، أو طيبوا بها آخرين.

فممن امتهن بيعها امرأة تدعى منشم، وهي عطّارة من جرهم، وكانت جرهم إذا خرجت لقتال خزاعة أخرجت معها منشم لتطيّب الجنود، فلم يكن أحد منهم يتطيب من طيبها إلا وقاتل حتى يُجرح أو يُقتل فصارت مثالاً يُضرَب في الشر والشؤم، وجرى اسمها مثالاً لذلك، فقيل: أشأم من عطر منشم، وكانوا إذا دخلوا الحرب دقوا بينهم من عطر وطيب تلك المرأة فقال الناس : قد دقّوا بينهم عطر منشم، ولما كَثُر منهم هذا القول صار مثلاً.

(الميداني النيسابوري ،١٣٥٢، ص ١٨١/٢).

وذكر زهير بن ابي سلمى منشم تلك والمثل الذي ضُرب بها في شعره بقوله في مدح هرم بن سنان، والحارث بن عوف بعدما تحمّلا ديّات القتلى التي جرّتها حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان بقوله:

يَمِيناً لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيْمٍ وَمُبْرَمِ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ

(الشنتمري، ١٩٨٠، ص ١٥).

وظل ذكرها المشؤوم إلى العصور التي تلت العصر الجاهلي ومن ذلك قول النابغة الجعدي فيها وفي عطرها قال:

أَيا دارَ سَلمى بالحَرُورِيَّةِ اِسلَمي نُحييكِ عن شحطٍ وإنْ لم تكلمي

عَفَت بَعدَ حَيّ مِن سُلَيمٍ وَعامِرٍ تَفانَوا ودَقُّوا بَينَهم عِطرَ مَنشِمِ

(الصمد ، ١٩٩٨ ، ص ١٣٩).

كما ضُرب المثل بحليمة وعِطرها، وحليمة هي ابنة الحارث الغساني الذي خرج لقتال الملك المنذر بن المنذر بن ماء السماء لثأر يطلبه، فلما التقى الفريقان واشتدت إوارة الحرب بينهما وكان النصر لأحدهما مرة وللآخر أخرى، عمد الحارث الى إبنته حليمة فطلب منها أن تطيب جنوده لتحمسّهم على القتال وتحقيق النصر فكان له ما أراد وانتصر هو وجنوده فسميَّ ذلك اليوم بيوم حليمة، وضُرِبَ المثل به فقيل ما يوم حليمة بسّر.

(الميداني النيسابوري ، ١٣٥٢ ، ص٢/٣٢).

وقد ذكرَ النابغة الذبياني خبر ذلك اليوم في أبيات له حينما مدح عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن ابي شمر الغساني قال:

إذا إسْتُنزِلُوا عنهُنَّ للطعنِ أرقلُوا الى الموتِ، إرقالَ الجِمالِ المصاعبِ

فهم يتساقون المنية بينهم بأيديهم بيض، رفاقِ المضاربِ

يطيرُ فضاضا بينها كل قونس ويتبعها منهم فراش الحواجبِ

ولا عَيبَ فيهم غيرَ أن سيوفهم بِهِنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ

ثُورثْنَ من أزمانِ يوم حليمةٍ الى اليوم قَدْ جُربْنَ كلَّ التجاربِ

(ابو الفضل ،١٩٩٦، ص ٣١).

أما المثل، "لا عطر بعد عطر عروس"، فقصته مختلفة عن القصتين السابقتين، إذْ ذُكِر أن امرأة من عذرة يُقال لها أسماء بنت عبد الله العذرية تَزوجت أحد أبناء عمومتها واسمه عروس فمات عنها، وتقدم آخر لخطبتها ولم يكن من قومها يُقال له نوفل، وكان بخيلاً،أعسراً فلما أراد ان يظعن بها استأذنته فرثتْ ابن عمها عروس وبكت عند قبره،وأخذت تذكر خصاله الحميدة وتُعرّض زوجها نوفل ففهم

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م /١٤٤٢هـ

قصدها، أنها تعرض به، فلما أراد الرحيل قال: ضُمّي اليكِ عطرك ، فقالت: لا عطر بعد عطر عروس، فذهب قولها مثلاً.

(الميداني النيسابوري ، ١٣٥٢ ، ص١٦٢/٢).

المطلب الثاني – أصل العطور ومصادرها

عرف الإنسان العربي منذ أقدم العصور أنواعاً عدة من الأعشاب ذات الروائح الزكية،فبدأ يستخرج منها أنواعاً من العطور، لذلك يعد النبات المصدر الأساس للعطور، ومنه ما كان يُتبخر به كالعود والصندل واللبنى، ومنه يُؤخذ زهره كالياسمين والزنبق. ويُعد الحيوان مصدراً آخر لتلك العطور، فما يستخرج من بعضه يُعد أغلى انواع العطور مثل المسك وهو ما يُستخرَج من بعض أنواع الضباء، والعنبر المُستخلص من دهن نوع من الحيتان..

أما من حيث الصلابة والليونة فإن العطور تُقسم تبعاً لذلك على قسمين : الأول اليابس ويُسمى ب(الكباء)، وغالباً ما كان يتبخر به أو يُنثر على الجسم وفيه جاء قول امرئ القيس :

وَيُضْحِي فَتِيْتُ المِسْكِ فَوْقَ فِراشِهَا نَؤُومُ الضَّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

(ابو الفضل ، ١٩٨٤ ، ص١٧).

وفي قوله هذا إشارة الى أن المسك نوع من العطور الصلبة.

وقد اختُلف في طريقة استعماله فمنه ما ينثر على الفراش وهو ما فعلته محبوبة امرئ القيس، ومنه مايُنثر على الجسم ويُتمضخ به، فحين وصف الشاعر محبوبته المترفة التي تبقى في فراشها لوقت الضحى انما اراد أن ذلك يعود لما نثرته فوق فراشها من مسك فأصبح أكثر راحة فأضاف صفة الترف لعطر فراش محبوبته مضافاً لعطرها هي.

وَوُصِفَ المسك بصفة الذكاء فيُقال مسك ذكي، ويريدون أنه فوّاح وأكثر نفاذية وإلى ذلك أشار عمرو بن الأطنابة بقوله:

يَتَناهَيْنَ فِي النَعْيمِ ويَضْرِبْـ نَّ خِلالَ القُرونِ مِسْكاً ذَكياً

(الدينوري ، ١٩٧٣ ، ص ١٨٤/٢).

ويُطلق على القسم الثاني من العطور اللينة ب الملاب وقيل الملوب، وغالباً ما كان يُتلطخ به مادام سائلاً.

وقد وصف المتنخل الهذلي ذلك بقوله:

أبيتُ على معاريَ فاخِراتٍ بِهِنَّ مُلَوَّبٌ كَدَمِ العِباطِ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

(ابن منظور، ١٩٥٩، عبط).

وعلى أساس ذلك فإن الطيب يُقسم على ذكارة الطيب وهو للرجال والطيب المؤنث الخاص بالنساء. وكانت النساء في الجاهلية تستعمل ما يستعمله الرجال، وسيركز البحث على أهم تلك العطور وأبرزها وأكثرها شيوعاً واستعمالاً.

ومن الجدير بالذكر ان استعمال العطور ليس حكراً على فئة دون أخرى لكنه عند المترفين أكثر استعمالاً، اذ عُدَّ عادة من عادات المجتمع الجاهلي والإسلامي عند مختلف شرائحهما غير انه عند النساء أكثر شيوعاً واستعمالاً لولع النساء بالزينة والطيب أحد أنواعه بل أهمها ، كما انه عند الحضريات أكثر مما هو عند البدويات فكان لكل منهن قشوة طيب تحمل فيها طيبها أينما ذهبت.

ويعود السبب في استعمال الحضريات للطيب أكثر من البدويات الى اتصال مجتمعهن بالمراكز الحضارية المعروفة، فاقتبسنَّ ذلك منها.

(الهاشمي ، ١٩٦٠ ، ص ٨٥).

أما البحث فيرى أن السبب في ذلك يعود لارتفاع ثمن الطيب وعدم تمكن أغلب البدويات من إقتنائه، كما أن صعوبة أساليب الحياة والمهام الملقاة على عواتقهن قد لا تفسح المجال لهن للإهتمام بالطيب واستعماله، وذلك لا يعني أن جميع البدويات لم يكنَّ يتعطرن أو لم يعرفن العطور بل كان لكل نوع من العطور مستعمليه.

وقد خصّ الشعراء في الجاهلية والإسلام النساء وطيبهّن الدائم في أشعارهم حتى وصفوا استعمالهن له وأنواعه والمحبب إليهن منه واليهم والى ماذا يشير كل نوع فاتخذوا منه مادة للغزل فكلما ذكر أحدهم محبوبته ذكر طيبها وكثرة تطيبها، ومنهم امرؤ القيس قال:

ألم تريانِي كُلما جئتُ طارقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطّيبِ

(ابو الفضل ، ١٩٨٤ ، ص٤١).

ويتغزل الأعشى بجارته التي اكثرت من طيبها فأصبح لونها أصفراً بلون طيبها قال:

ياجارَتي ما كُنتُ جاره باتت لِتَحزُنَنا عُفارَه
تُرضيكَ مِن دَلٍ وَمِن حُسْنٍ مُخالِطُهُ غَرارَه
بَيضاءُ ضَحوّتُها وَصَف راءُ العَشِيّةِ كَالعَرارَه

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م /١٤٤٢هـ

(محمد حسين ، ١٩٨٦، ص ١٥٣).

ويَصدُق مِثلهم قول كعب بن زهير في الذين يطيبون ثيابهم ويعطروها قال:

المُطعَمونَ إذا ما أزمة أزمت والطيبون ثِياباً كُلَما عَرَقُوا

(عيون الأخبار ، ص ٤٢٣/١).

مما تقدم نجد أن الشعراء أجمعوا على مدح من طيّبوا ثيابهم وأجسادهم بالطيب وهي من الصفات المحمودة .

(الدينوري ، ١٩٧٣ ، ص٤٢٣/١).

المطلب الثالث – أنواع العطور

سيتناول البحث أهم العطور التي عرفها الإنسان العربي في العصرين الجاهلي والإسلامي وظلت إلى عصور متعددة وأكثرها شيوعاً وأذكاها رائحة ألا وهي (المِسك ، العنبر، العبير)

١-المسك:

هو عِطر تشارك الرجال والنساء في استعماله ، وهو غالي الثمن لذلك فمن المرجح أن المترفين هم من استعملوه فإذا ما أرادوا المبالغة في وصف استعماله للدلالة على الترف وسموا المنزلة ، وصفوا ممدوحيهم ومحبوباتهم باستعمالهم له وتعطرهم به، ونجد ذلك واضحا في قول المسيب بن علس حينما مدح بني شيبان وصفهم بانهم يطلون ثيابهم وأجسادهم بالمسك وأراد بذلك أنهم زينوا أفعالهم كما زينوا ملابسهم وأجسادهم فقال:

تَبيتُ المُلوكُ على عَتبُها وَشيبانُ إن غَضِبَتْ تُعتّبُ

وَكَالشُهدِ والراحِ أخلاقُهُم وأحلامُهُم مِنها أعذبُ

وَكَالمِسكِ تُرْبُ مَقاماتِهم وتُربُ قُبُورِهُم أطيبُ

(الوصيفي ، ٢٠٠٣ ، ص٢٥).

ولم يكفهِ وصفهم بأنهم مترفين وقد تزينوا وتطيبوا بالمسك في ثيابهم وأجسادهم بل زاد على ذلك أن جعل قبورهم وترابها تسقى بها فعطرها طيب لطيب أفعالهم وطيب عطرهم.

كما فعلوا ذلك حينما وصفوا النساء وترفهن ودلالهن فجعلوا عطرهن من المسك ، ومنه قول امرئ القيس –:

وَتُضْحِي فَتِيْتُ المِسْكِ فَوْقَ فِراشِهَا نَؤُومُ الضَّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

(ابو الفضل ، ١٩٨٤ ، ص١٧).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

وزاد عليه المرار بن منقذ أنْ جعل المسك يُعصر من أردان محبوبته وذلك لشدة ترفها ورقتها قال:

وَهْيَ لَو يُعصَرُ مِن أَردَانِها عَبَقُ المِسْكِ لَكَادَت تَنعَصِرْ

(الضبّي ، (د.ت) ، ص١/٩٢).

وأحبَّ الشعراء في كل العصور رائحة المرأة إذا تطيبت بالمسك وضمّخت شعرها به ، ومنهم سويد بن أبي كاهل الذي عشق رائحة المسك في ظفائر محبوبته وتشبعها به قال:

وَقروناً سابِغاً أَطرافُها غَلَّلتها ريحُ مِسكٍ ذي فَنَع

(الضبّي ، (د.ت) ، ص ١/١٩١).

وسرّحت محبوبة العباس بن مرداس السلمي شعرها فحسنته بالمسك فشبه الشاعر تلك الرائحة المنبعثة من ظفائر محبوبته قال:

تَضَوّعَ مِنها المِسكُ حَتّى كَأَنّما تَرجَّلُ بالرَيحان رَطباً وَيابسا

(الجبوري، ١٩٩١، ص٩١).

وهناك من النساء من تُضمخ وجهها بالمسك حتى تفوح رائحته من تحت لثامها ، ومنهن عبلة محبوبة عنترة التي نثرت فتيت المسك على شعرها ووجهها فقال فيها عنترة :

يَبيتُ فُتاتُ المِسكِ تَحتَ لِثامِها فَيَزدادُ مِن أنفاسها أَرَجُ النَدِّ

(طماس ، ٢٠٠٤ ، ص ١١٠).

وعُرف المسك عند العرب ب المشموم ، وقد ورد ذلك في قول عبدة بن الطبيب:

يَحمِلنَ أُترُجَّةً نَضخُ العَبيرِ بِها كَأَنَّ تِطيابَها في الأَنفِ مَشموم

(الجبوري ، ١٩٧١ ، ص٨٢).

وبالغت العرب في تضمخها بالمسك فأضافت له العنبر.

٢- العنبر : هو نوع من أنواع الطيب ذو لون يُجمع من أخلاط.

(ابن منظور، ١٩٥٩ ، خلط).

ويكون لونه أصفر مائلاً الى الشقرة المُحببة الى النفوس وهو ما يخص المرأة ، أما إذا كان عديم اللون فيكون خاصاً بالرجال .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

وورد ذكرُ العنبرِ والمسكِ معاً في أبيات الشعر العربي ومنه قول المرار بن منقذ واصفاً عطر محبوبته الفوّاح ذو اللون الأصفر الذي طغى على لونها قال:

عَبَقُ العَنبَرِ وَالمِسكِ بِها فَهيَ صَفرَاءُ كَعُرجُون العُمُرْ

(الضبّي ،(د.ت) ، ص ٩٢/١).

وتضاربت الأراء في كون العنبر هو الزعفران ، لكن حديثاً لنبينا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) فرّق بينهما قال عليه السلام:

(اتعجز احداكن أن تتخذ تومتين ثم تخلطهما بعبير أو زعفران)

(ابن منظور، ١٩٥٩ ، عبير).

وعُرف العبير منذ القِدم واستعملته العرب في الجاهلية والإسلام فكانت تتطيب به على الرغم من ثمنه الغالي وقد كان رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) يَتَطيّبُ به وبالمسك.

(الواقدي ، ١٩٦٠ ، ص١١٣/١).

ونتيجة لارتفاع ثمنه كان حِكراً على المترفين والمترفات من الموسرين ويؤكد ذلك قول عدي بن زيد العبادي قال:

بناتٍ كرامٍ لم يربن بضرةٍ دمىً شرقاتٍ بالعبير روادعا

(الأصفهاني ، (د.ت) ، ص ١٥٠/٢).

وجذبت رائحة العبير عند النساء المترفات المُنَخل اليشكري لمبالغتهن في التعطر به قال:

أقَرَرْتُ عَينِي من أُولَـ ئِكَ والفَوَائِحِ بِالعَبِيرِ

(الأصمعي ،(د.ت) ، ص ٦٠).

كما خصّ الاعشى عطر العبير بالذكر وجعله خاصاً بالعروس قال:

وَتَبرُدُ بَردَ رِداء العَرُسِ رَقرَقتَ بِالصَيفِ فيهِ العَبيرا

(محمد حسين ، ١٩٨٦ ، ص ٨٢).

٢- وترد كلمة الخلوق بمعنى العبير، فالخلوق هو عطر أيضاً وكلاهما أخلاط من الطيب يدخل فيها الزعفران ، وهو زينة خاصة بالنساء لما يحمله من لون أصفر أو أحمر، استعملته النسوة في اليد كالحناء ، وفي الشعر دهناً أو صبغاً يطلى به الجسم فيقال خلقت المرأة جسمها : اذا طلته بالخلوق

(ابن منظور ، ١٩٥٩ ، خلق).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

قال الحطيئة واصفاً احدى النساء وقد طلت جسمها بالخلوق أو العبير مرة تلو اخرى قال:

لِأَسيلَةِ الخَدَّينِ جازِئَةٍ لَها مِسكٌ يُعَلُّ بِجَيبِها وَعَبيرُ

(قميحة ، ١٩٩٣، ص ٨٦).

وقال في موضع آخر متغزلاً بالنساء اللواتي يطلين نحورهن بالمسك والزعفران مرة بعد اخرى بقوله :

تَرَى الزّعفرانَ الوَرْدَ فِيهِنَّ شاملاً وإنْ شِئنَ مِسكاً خالصاً ريحهُ ذَفْرْ

(قميحة، ١٩٩٣ ، ص ٨١).

تلك أهم وأشهر العطور التي عرفت في العصرين الجاهلي والاسلامي وشاعت لديهم ، وهناك غيرها كثير لكن البحث سلط الضوء على أكثرها إنتشاراً واستعمالاً.

الخاتمة

عُدَّ الطيب أهم عناصر الزينة وعليه تقوم. عرفه العرب في شبه جزيرتهم من الأعشاب التي نَمَت عليها ، وكانت ذات روائح زاكية. ثم عرفوا مزج بعضها ببعض كما عرفوا ان بعض الحيوانات تعطي من بعض أجزائها أطياباً فتثير فيهم السرور عند استعمالها وشمها. وغالباً ما ارتبط الغزل ووصف المحبوبات من النساء بالطيب فقد تغنّى الشعراء بالنساء وطيبهن.

ارتبط الطيب بأثرياء القوم وموسريهم ، لكلفته الباهظة وهناك نوعان من الطيب يقسم حسب نوع صلابته وليونته كما يقوم الاختلاف على اللون وشدة النفاذية فطيب الرجال تكون رائحته قوية وعديم اللون أما طيب النساء فكان يمتاز بكونه قوياً وملوناً فبعضه أحمراً مائلاً الى الشقرة أو أصفراً بصفرة محببة الى النفوس .

واقتصرت تجارة العطور على ملوك العرب وأشرافهم من الرجال والنساء فمن الملوك النعمان بن المنذر ومن الأشراف أبو طالب ...

ولم ينسوا أمر الاحتفاظ بما يصنعونه من الطيب بل صنعوا أدواةً لحفظه فأبدعوا وتفننوا بصناعتها.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Basic Science journal
ISSN 2306-5249
العدد الأول
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

المصادر :

١- القرآن الكريم.

٢- الأبشيهي،محمد بن احمد ،(١٩٥٢). المستظرف من كل فن مستطرف.(د.ط).دار احياء التراث.مصر

٣- الاسد ، ناصر الدين ، (١٩٦٧). ديوان قيس بن الخطيم. ط ٢ . دار صادر بيروت.

٤- الاصمعي ،عبد الملك بن قريب ، (١٩٥٥) . الأصمعيات . ط٥ . بيروت –لبنان.

٥- الاصفهاني ، علي بن الحسين، (١٩٩٤-١٩٥٢). الاغاني .ط ١و٢. دار الكتب المصرية –القاهرة.

٦- ، الأفغاني، سعيد ، (١٩٧٤) . اسواق العرب في الجاهلية والإسلام. ط٣ دار الفكر للطباعة والنشر .

٧- الأعلم الشنتمري ، يوسف ، (١٩٧٠)، شرح ديوان زهير بن ابي سلمى. تحقيق فخر الدين قباوة .ط١ .دار الافاق–بيروت.

٨- الجبوري ، يحيى، (١٩٩٥) . ديوان العباس بن مرداس السلمي . ط١ .مؤسسة الرسالة.بيروت.

٩- الجبوري ، يحيى ، (١٩٧١) . شعر عبدة بن الطبيب.

١٠- الدينوري، عبد الله بن مسلم ، (١٩٧٣) . عيون الاخبار . (د.ط) . دار الكتب المصرية.

١١- الزين، وابو الوفا ،احمد ومحمد ، (١٩٦٥) . ديوان الهذليين. (د.ط) . دار صادر–بيروت.

١٢- الصمد، واضح ، (١٩٩٥) . ديوان الراعي النميري. ط٢ .دار الجيل–بيروت .

١٣- الصمد، واضح، (١٩٩٨) . ديوان النابغة الجعدي .ط١. دار صادر .بيروت –لبنان.

١٤- الطرابيشي ، مطاع ، (١٩٨٥) . شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي.ط٢. مطبوعات مجمع اللغة العربية .دمشق.

١٥- الكاتب ،سيف الدين واحمد ،(د.ت). ديوان أُمية بن ابي الصلت. ط١ .دار مكتبة الحياة .بيروت–لبنان

١٦- المباركفوري،محمد بن عبد الصمد،(د.ت). تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، ضبط وتحقيق عبد الصمد محمد عثمان .(د.ط). دار الفكر للطباعة والنشر.

١٧- المرزوقي ، احمد بن محمد،(١٩٩٦) . الأزمنة والامكنة . ط١. دار الكتب العلمية ،بيروت .

١٨- المفضل الضبي، محمد بن يحيى، (د.ت). المفضليات. ط٦. دار المعارف. القاهرة .

١٩- الميمني ، عبد العزيز، (١٩٥١). ديوان حُميد بن ثور الهلالي. (د.ط) . دار الكتب المصرية–القاهرة .

٢٠- الهمداني ، احمد بن يعقوب، (١٩٨٦) . صفة جزيرة العرب . تحقيق الاكوع ،(د.ط) . دار التنبؤ . بيروت .

٢١- الواقدي، محمد بن سعد ،(١٩٦٠). الطبقات الكبرى . (د.ط) . ط ليدن.

٢٢- الوصفي ، عبد الصمد محمد ،(٢٠٠٣). ديوان المسيب بن علس. ط١. مكتبة الاداب .القاهرة.

٢٣- ابن الأثير ،علي بن محمد ،(١٩٩٧) . الكامل في التاريخ .(د.ط) .دار الكتاب العربي .بيروت.

٢٤- ابن منظور ، جمال الدين محمد ،(١٩٥٩) . لسان العرب . (د.ط) .ار صادر.بيروت.

٢٥- ابن هشام ،عبد الملك (١٩٣٧) . السيرة النبوية . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . (د.ط) حجازي. القاهرة .مصر.

٢٦- ابو الفضل، محمد بن ابراهيم، (١٩٨٤). ديوان امرئ القيس .ط٤ .دار المعارف. بيروت.

٢٧- ابو الفضل ، محمد بن ابراهيم،(١٩٩٦). ديوان النابغة الذبياني. شرح وتقديم عباس عبد الستار .ط٣. دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان.

٢٨- ابو صالح ، عبد القدوس، (١٩٧٣). ديوان ذي الرمة . (د.ط) . المكتب الاسلامي .دمشق.

٢٩- حسين نصّار ، (١٩٦٤). ديوان عبيد بن الابرص . ط١. شركة مصطفى البابي الحلبي.

٣٠- جواد علي ،(١٩٩٣) .المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . ط٢. جامعة بغداد.بغداد .

٣١- طمّاس، حمدو، (٢٠٠٤) . ديوان عنترة بن شداد العبسي. ط٢. دار المعرفة .بيروت.

٣٢- قميحة ، مفيد محمد ،(١٩٧٣) . ديوان الحطيئة رواية بن السكيت . ط١. دار الكتب العلمية. بيروت .لبنان.

٣٣- محمد حسين ،محمد، (١٩٨٦) . ديوان الأعشى الكبير . (د.ط) . مكتبة الاداب . مصر.

المجلات والدوريات:

١-الجبوري ، يحيى (١٩٨٣) ، ((الزينة في الشعر الجاهلي، زينة الطيب والعطور))، مجلة حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد ٦ :٢٠١-٢٦٧ .

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية